



نشاط الوكالة البريطانية في الكويت في عهد الكابتن شكسبير للمدة 1909 – 1914

م.د. محمد حموز لفته الغانمي
مديرية تربية القادسية – وزارة التربية - العراق
الايمل: hgmalghanmy612@gmail.com

المخلص

على الرغم من أن الاهتمام البريطاني بالكويت يعود إلى عام 1775 عندما طرحت فكرة نقل وكالة شركة الهند الشرقية البريطانية من البصرة إلى الكويت، إلا أن ذلك الاهتمام ازداد بعد أن وجدت بريطانيا بأن مصالحها في الكويت تتطلب تواجد بريطاني فعلي لإدارة سياستها هناك، ولبعد بوشهر، مقر المقيم البريطاني، عن الكويت، ولمتابعة مصالحها وحمايتها من التدخلات الخارجية التي تمثل تهديداً مباشراً لسياستها، ومراقبة علاقات حاكم الكويت مع الخارج عينت بريطانيا الكابتن شكسبير بصفة وكيل وأعطته صلاحية إدارة سياستها هناك، لذا كلف بتقوية العلاقات مع الشيخ مبارك ومراقبة تصرفاته تجاه الدولة العثمانية، والعمل على زيادة الامتيازات البريطانية من خلال عقد الاتفاقيات الاقتصادية التي كانت مبطنة بالسياسة بغية الانفراد بالسيطرة على مقدرات الكويت لتكون صاحبة الامتياز الأول هناك من خلال اشتراطها على الشيخ مبارك بعدم اعطاء امتيازات مماثلة لأي دولة أخرى بدون علم بريطانيا، فضلاً عن ادارة المباحثات مع عبد العزيز ابن سعود في الجزيرة العربية بهدف جذبته إلى جانب بريطانيا والابتعاد عن الدولة العثمانية لتكسب مسانده في احتلال البصرة.

الكلمات المفتاحية: الكويت، الوكالة البريطانية، الكابتن شكسبير، الاتفاقيات.

Activities of the British agency in Kuwait at the era of Captain Shakespeare between 1909 – 1914

Dr. Muhammad Hammouz Laftah Al-Ghanmi
Al-Qadisiyah Education Directorate - Ministry of Education - Iraq
Email: hgmalghanmy612@gmail.com

ABSTRACT

In spite of the British attention in Kuwait back to 1775 when the idea of moving the agency of the eastern company of India from Basra to Kuwait has been stated , but this attention was increased when Britain found that its interests in Kuwait need a virtual existence to run their policy in this region , as for the high distance of Bushehr (where the British resident) from Kuwait , and to follow their interests as well as protect it from the external interventions which was forming a direct threats , also to monitor the foreign relations of the Kuwait ruler , Britain designated the captain Shakespeare to be agent and gave him the power of running their policy there , for that reason he was charged to strength the relation with Sheikh Mubarak and monitor his acts towards the Ottoman state , as well as working to increase the British privileges through holding the economic agreements which was lined in order to be alone dominated of the Kuwait resources to be first privileged there through putting a condition to Sheikh Mubarak not to give similar privileges to any other country without notify Britain as well as managing the negotiations with Abdulaziz Ibn Saud in Arabian peninsula in the aim of attack him to the British side and put him away of the Ottoman state for gaining his support to occupy Basra .

Keywords: Kuwait, British Agency, Captain Shakespeare, Agreements.



المقدمة

تُوّجت انشطة الكابتن شكسبير منذ توليه منصب الوكالة في الكويت عام 1909 بالمحافظة على المصالح البريطانية من خلال اقامة العلاقات الحسنة مع الشيخ مبارك الصباح، ومتابعة تصرفاته وعلاقاته مع الدولة العثمانية، كي لا تستغلها الأخيرة للحصول على مكاسب اقتصادية قد تؤثر على المصالح البريطانية هناك، لذا سعت الحكومة البريطانية على ربط الكويت باتفاقيات اقتصادية وسياسية، والتي نصت على عدم إعطاء اي امتياز لأي دولة أوربية أخرى إلا بموافقة بريطانيا، وكانت أغلب تلك الاتفاقيات تصب في مصلحتها من أجل الحفاظ على امتيازاتها هناك والوقوف بوجه أية محاولة اجنبية تسعى للحصول على بعض الامتيازات في الكويت، وعن طرق الوكيل شكسبير استطاعت بريطانيا التقرب أكثر من عبد العزيز ابن سعود لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية. وعلى ذلك الأساس اقتضت ضرورة الدراسة تقسيم البحث على أربعة مباحث ملخص ومقدمة أوضحنا فيها أهمية الموضوع وتلتها خاتمة بأهم النتائج.

تناول المبحث الأول دور الوكالة البريطانية في كسب ود الشيخ مبارك، في حين تصدى المبحث الثاني لموقف الوكالة البريطانية من العلاقات الكويتية – العثمانية، بينما سلط المبحث الثالث الضوء على دور الوكيل البريطاني شكسبير في عقد الاتفاقيات الاقتصادية مع الشيخ مبارك، وأخيراً جاء المبحث الرابع الذي تناولنا فيه علاقات بريطانيا مع ابن سعود من خلال وكالتهم في الكويت، فضلاً عن الخاتمة التي تضمن أهم الاستنتاجات التي توصلت لها الدراسة.

اعتمدت الدراسة على الوثائق البريطانية غير المنشورة والمنشورة فضلاً عن المصادر الوثائقية التي أغنت الدراسة بالكثير من المعلومات ولا تقل أهمية المصادر العربية في الأهمية لرفد متن الدراسة بالمعلومات القيمة.

المبحث الأول: دور الوكالة البريطانية في كسب ود الشيخ مبارك

مارس الوكيل البريطاني السابق الميجر نويس خلال مدة اقامته 1904 – 1909 سياسة التدخل المباشرة في شؤون الكويت الداخلية ومراقبة سياسة حاكم الكويت الاقليمية، ونتيجة لذلك اتسمت العلاقة بيه وبين الشيخ مبارك بالتوتر طيلة مدة اقامته، وعلى الرغم من الدور المتعنت الذي مارسه الوكيل البريطاني المقال نويس أثناء إدارة الوكالة البريطانية في الكويت تجاه الشيخ مبارك، إلا أن الأخير لم يكثر لأفعاله، فقد كان كثيراً ما يتجاهله في اغلب الأمور، الأمر الذي أحدث صدام بين الطرفين حتى استقالة الوكيل البريطاني نويس في نيسان 1909، وبغية استيعاب الشيخ مبارك وعدم الاصطدام معه عينت بريطانيا وكيلاً جديداً لإدارة وكالتها في الكويت وهو الكابتن شكسبير Shakespera ، لكونه في وجهة نظر بعض الساسة البريطانيين يختلف كثيراً عن سابقه في استخدام سياسة اللين والمرونة مع الشيخ مبارك الصباح، الأمر الذي كان يشكل خطر على سياسة الشيخ مبارك في الداخل وفي شؤون الجزيرة العربية (الأصقه، 2014، ص321).

ومع ذلك لم يحصل أي تغيير ملموس في دور الوكالة البريطانية تجاه الشيخ مبارك وسياسته في المنطقة، فقد بقي الأخير يمارس سياسته بشكل مستقل وبعيداً عن تدخل الوكيل البريطاني ولم يسمح له بالتدخل حتى في أبسط الأمور، ونتيجة لذلك اقتصر عمل الوكيل البريطاني شكسبير على ارسال التقارير والرسائل المتبادلة بين الشيخ مبارك الصباح والمقيم البريطاني بيرسي كوكس Percy Cox (1) في بوشهر فضلاً عن جمع المعلومات التي تتعلق بالمصالح البريطانية هناك. (سلوت، 2008، ص426).

ومن جانب آخر نجد أن الوكيل البريطاني لم يكثر لسياسة التجاهل التي كان الشيخ مبارك يمارسها تجاه الوكلاء البريطانيين في الكويت، وراح يعمل على توسيع دوره في الكويت، فعمل شكسبير على تعزيز علاقاته بكبار الوجهاء والتجار من الذين لديهم علاقات بالبحرين والهند، وصلات وعلاقات مع البريطانيين، الذين كانوا

(1) بيرسي كوكس: ولد بيرسي زكريا كوكس في 20 تشرين الثاني نوفمبر من عام 1864 في مدينة هيرونكيت Herongate إحدى مدن مقاطعة أسكس Essex الواقعة في جنوب شرق انكلترا ، ينتمي بيرسي كوكس إلى أحد الأسر العريقة المعروفة بأسرة بوتون Button أما لقب كوكس فقد أصبح فيما بعد لقب لعائلته التحق بالأكاديمية العسكرية عام 1882 وتخرج منها في شباط فبراير 1884 وفي عام 1894 أصبح وكيلاً سياسياً في مسقط العربي أصبح وكيلاً سياسياً لبريطانيا في الاول من تشرين الاول أكتوبر 1899 وفي أيار مايو 1904 اختير لمنصب المقيم السياسي في الخليج العربي ساهم في رسم السياسة البريطانية هناك. للمزيد من التفاصيل. يراجع (Tripp, 2007, PP. 44-45)



في الوقت نفسه متدمرين من سياسة الشيخ مبارك في الحكم تجاههم، إذ كانوا في أغلب الأحيان ينتقدونه بسبب سياسته الاقتصادية التي اضرت بمصالحهم بشكل مباشر⁽²⁾، ومن هنا أصبح شكسبير على احاطة كاملة بسياسة الشيخ مبارك المقبلة تجاه رعاياه من خلال ما ذكره الوكيل البريطاني السابق الميجر نوكس في تقاريره للحكومة البريطانية والتي لم يضع حداً لها، لذا وجد شكسبير أنه من الأجدر عدم الوقوف بوجه التجار والوجهاء عندما عارضوا سياسة الشيخ مبارك ولم يشمنز منهم عندما قرروا ترك البلاد والهجرة إلى خارج الكويت (سلوت، 2008، ص426).

وعلى أساس ذلك أخذ شكسبير من قضية هجرة التجار عن الكويت سلاح ذو حدين لخدمة المصالح البريطانية، فالتاجر هلال المطيري⁽³⁾ الذي اتجه صوب البحرين كان ذو مكانة اقتصادية كبيرة وعلاقات واسعة بشخصيات بريطانية مسؤولة، لاسيما مع الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، فقد لمس منه الضيافة وحسن الاستقبال هناك، وهذا لم يكن مستبعداً لاسيما معرفة الوكيل البريطاني بمكانة التاجر هلال المطيري الاقتصادية واهميتها بالنسبة للمصالح البريطانية وان اقامته في البحرين ستكون سبباً في زيادة دخل الكمارك فيها، فمن ذلك اتخذ شكسبير وسيلة لكبح جماح الشيخ مبارك وتلبيين موقفه تجاه بعض القضايا المتعلقة بالمصالح البريطانية في

(2) على أثر ما أقدم عليه الشيخ مبارك، من سياسة فرض الضرائب الباهظة ومضاعفتها على التجار، إلى جانب منع الأهالي من ممارسة مهنتهم الرئيسية في الغوص وراء اللؤلؤ التي كانوا يعتمدون عليها في كسب أرزاقهم، لذلك قرر كبار تجار الكويت وخصوصاً هلال بن فحجان المطيري وإبراهيم المصنف وشملاق بن علي الشملاق، مقابلة الشيخ مبارك في عام 1910 وتحذروا معه بشأن منع أهالي الكويت من الذهاب للغوص، وفي معرض حديثهم مع الشيخ مبارك، بينوا له عواقب الآثار التي ستترتب على اقتصاد الكويت بشكل عام ومعيشة سكانه إن لم يعدل عن رأيه، إلا أن الشيخ مبارك لم يصغ لما عرض عليه، وعندما أدركوا أن لقاءهم مع الشيخ لم يثمر عن شيء، قرروا ترك الكويت أن لم يعتذر لهم الشيخ مبارك بعد أن أسمعهام كلاماً جارحاً، وبعد نهاية موسم الغوص أخرجوا رفاقهم من أقرانهم في المهنة بما عزموا عليه، فغادر هلال بن فحجان المطيري وإبراهيم المصنف وبعض من تبعهم إلى البحرين، في حين ذهب شملاق بن علي إلى جزيرة جنة في الأحساء ورافقه في هجرته راشد أبو رسلي وأحمد المناعي وأخوته، وسعد الناهض، وصالح المسباح، وبعد أن أدرك الشيخ مبارك الكارثة التي ستضرب الاقتصاد الكويتي جراء هجرة التجار، اضطرت لتقديم الاعتذار لهم فأخذ الشيخ مبارك يرسل إليهم الوفود، ليعرضوا عليهم الصلح ويدعوهم إلى العودة إلى الكويت، ومن جملة الذين أرسلهم الشيخ مبارك، حسين بن علي بن سيف وناصر البدر وفارس الوقيان الذين قصدوا البحرين، لإرضاء التاجر هلال المطيري، وحملهم مبارك رسالة اعتذار له ولرفاقه، طالباً منهم العودة إلى وطنهم، إلا أن مهمة الوفد المرسل لم تحقق الغرض المنشود، بسبب أن هلال المطيري اشترط لعودته إلى الكويت، أن يقدم الشيخ مبارك ضمانات له يؤمن بها على حياته، وعندما لم يجد الشيخ مبارك نفعاً من ذلك قرر، الذهاب بنفسه إلى البحرين وقدم الاعتذار لهم هناك، وكان ذلك بحضور حاكم البحرين عيسى بن خليفة آنذاك، وبعدها عاد إلى الكويت برفقة الشيخ مبارك، وهذا بعد تنازل كبيراً من قبل الشيخ مبارك لمطالب التجار العادلة، أما التاجر شملاق وجماعته الذين كانوا في جزيرة جنة، فقد أرسل إليهم الشيخ مبارك وفداً آخر برئاسة ولده الشيخ سالم ورافقه حسين بن علي بن سيف لاسترضائهم ومن جانبه قبل شملاق بن علي اعتذار الشيخ وعاد مع الوفد إلى الكويت.

يراجع للمزيد: (الشملاق، 1978، ص69، و Administration, Vol. VI, 1986, P.98 – 117.

يبدو أنّ الشيخ مبارك أدرك أن هذه الشخصيات تمثل المفاصل المهمة في تجارة الكويت ومواردها، ففرضت عليه الظروف القيام بذلك العمل، فضلاً عن ذلك أدرك الشيخ الأهمية التي تشكلها فئة التجار، لا سيما دورهم في تمويل خزينة البلاد إلى جانب كونهم وجوه المجتمع الكويتي ودورهم بمساندة حكام الكويت في السلطة، ومع أدراكه لهذا إلا أنه - أي الشيخ مبارك -، أصر على أن يحكم برأيه دون استشارة أحد، وهذا يعطي انطباعاً بأنّ التجار كانوا يتمتعون بقوة اقتصادية وسياسية وأن ميزانية الكويت، كانت تعتمد بشكل أساس عليهم، كما يبدو أن هجرة التجار لها مغزى ومدلول سياسي واقتصادي، لأن الإمارة متمثلة بشخص الحاكم الذي كان بحاجة ماسة إلى دعم التجار بوصفهم الأساس في دعم الحاكم بالمساعدات المادية، لاسيما في الحروب ولعل تلك الأسباب مجتمعة جعلت من الشيخ مبارك أن يعمل بكل جهد في سبيل استرضاء التجار.

(3) هلال المطيري: ولد عام 1855 لم يكن ميسور الحال في بداية حياته، نشأ وترعرع في كنف أسرته الفقيرة، وكان يعرف باسم هليل تصغيراً له، عمل في تجارة اللؤلؤ وبرع فيها حتى أصبح من كبار التجار في الخليج العربي آنذاك، وأكبر ثري في الكويت إذ بلغت ثروته أكثر من سبعة ملايين روبية، اتسعت املاكه حتى شملت الكويت والبحرين والبصرة والهند وكان كثيراً ما يتبرع للأعمال الخيرية، ومنها تبرعه بخمسة آلاف روبية لإنشاء المدرسة المباركية، وتبرع أيضاً لشراء أرض أوقفها مقبرة وهي لا تزال تعرف باسمه وجدد بناء مسجد براك الدماغ مرتين في عام 1917 وعام 1925 وبالتالي سمي المسجد باسمه، أصبح عضواً في مجلس الشورى عام 1921، توفي في عام 1938 واطلقت الحكومة الكويتية اسمه على إحدى شوارع الكويت. للمزيد يراجع: (السعيدان، ج3، 1981، ص1446 والقناعي، 1960، ص ص44 – 67).



الكويت مثل تجارة السلاح من جهة، ومن ناحية أخرى أن هجرة المطيري ونقل تجارته إلى البحرين عمل كان يصب في مصالح بريطانيا الاقتصادية من خلال زيادة الواردات الكمركية⁽⁴⁾.

وبغية معرفة مدى علاقته مع بريطانيا طلب الشيخ مبارك من الوكيل البريطاني شكسبير بأن يفتح حكومته بشأن الحصول على مدفوعين مع ذخائرها، وبعد تبادل المذكرات بين الوكيل شكسبير والمقيم البريطاني بيرسي كوكس والحكومة البريطانية حصلت الموافقة الأخيرة على تزويد الشيخ مبارك بمدفعين مع مائة قذيفة كهدية له، وبتاريخ 2 أيار 1909 أبرق المقيم البريطاني كوكس إلى الوكيل شكسبير، طالباً منه بأن يبلغ الشيخ مبارك على أن حكومة بريطانيا قد وافقت على طلبه (F.O.371/769, 2th, May, 1909)، وبعد اخبار الشيخ مبارك ببرقية كوكس، رفع الوكيل البريطاني شكسبير مذكرة إلى بيرسي كوكس بتاريخ 11 أيار 1909 أعترض فيها على قذائف المدفعية التي قررت الحكومة البريطانية اعطائها للشيخ مبارك، لأنها سوف تثير شكوك السلطات العثمانية، وبهذا الصدد ذكر شكسبير في برقيته أنه بعد مفاتحة الشيخ مبارك بخطر دخول القذائف الحية إلى الكويت، تقبل وجهه نظره، وأنه أي الشيخ مبارك ابلغه بأنه لم يطلب قذائف مدفعية للقتال، بل خراطيش مدفعية لاستخدامها في إعلان بدء الفطور خلال شهر رمضان، كما ذكر شكسبير بأن الشيخ مبارك فضلاً عن المدفعين طلب بنادق وذخيرة لتجهيز نفسه بطريقة ملائمة ليس إلا، وقد عبر الشيخ مبارك عن لسان شكسبير في مذكرته عن شكره وتقديره للحكومة البريطانية على اهتمامها به (F.O.371/769, 11th, May, 1909).

المبحث الثاني: الوكالة البريطانية وموقفها من العلاقات الكويتية – العثمانية

تزامن تولي الكابتن شكسبير إدارة الوكالة البريطانية في الكويت مع توتر العلاقات السياسية بين الشيخ مبارك الصباح والدولة العثمانية، بسبب رفض الشيخ مبارك تنفيذ الأوامر الصادرة له من الدولة العثمانية والقاضية بإعطائه حكم الاحساء، ونتيجة لموقف الشيخ مبارك المتعنت تجاه الدولة العثمانية، عملت الأخيرة على مضايقته، بسبب عدم الانصياع إلى أوامرها، وقد تسبب ذلك بامتعاض والي البصرة العثماني إلى الحد الذي رفض معه تسجيل الأراضي العائدة إلى الشيخ مبارك والتي اشتراها من الشيخ سعدون باشا⁽⁵⁾ أمير المنتفك، في منطقتي الفدكية وأم العرب في البصرة، فقد سبق وأن بعث الشيخ مبارك إلى الحكومة البريطانية في عهد الوكيل السابق "نوكس" طلب للحكومة البريطانية في كانون الثاني عام 1909 يسألها فيه عن إعطائه قرضاً لتسديد ما بذمته من مبالغ متبقية لأمير المنتفك سعدون باشا (F.O.371/769, 1, June, 1909)، وبعد مداوالات بين المقيم البريطاني بيرسي كوكس وحكومة الهند، وافقت الأخيرة على منح الشيخ مبارك القرض المطلوب، وبهذا الشأن أرسل كوكس برقية بتاريخ 31 أيار عام 1909 إلى الوكيل البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير تحمل في طياتها بعض الشروط، وكلفه بمقابلة الشيخ مبارك ومعرفة رأيه بشروط الحكومة البريطانية التي من الواجب تنفيذها مقابل منحه القرض، وبعد اطلاع الشيخ مبارك على تلك الشروط منحه الوكيل شكسبير مدة لمعرفة رأيه لا تتعدى الأول من حزيران عام 1909 لإبداء موافقته على شروط حكومة الهند (F.O.371/769, 1, June, 1909).

وفي اليوم المحدد - أي الأول من حزيران - عام 1909 أرسل المقيم البريطاني بيرسي كوكس برقية من بوشهر إلى الشيخ مبارك يستفسر منه عن قراره بخصوص القرض، مؤكداً على أن حكومة الهند قد وافقت على إقرضه مبلغ قدره 200,000 روبية بدون فوائد، وإنها مصرة على تنفيذ شروطها مع الشيخ مبارك، وهي: أن يسدد القرض على دفعتين في مدة لا تتجاوز العام من تاريخ إعطائه القرض، وأن يتعهد الشيخ مبارك بعدم اقتراض أي مبالغ من دولة أخرى (F.O.371/769, I June, 1909).

وفي 5 حزيران 1909 ذهب الشيخ مبارك إلى دار الوكالة البريطانية والتقى بالوكيل البريطاني شكسبير، وأبلغه بموافقته على شروط حكومة الهند، مبدياً شكره وامتنانه للحكومة البريطانية لمساعدته والوقوف بجانبه،

(4) حول تلك القضية وتداعياتها يراجع: (السعدون، 2008، صص 62 – 72).

(5) هو سعدون باشا بن منصور باشا بن راشد بن ثامر السعدون شيخ المنتفق، ولد عام 1853، سيطر على بادية المنتفق بعد عودة آل السعدون إلى ديارهم عام 1882، وكون قوة استعان بها العثمانيين وحدثت بينه وبين جابر بن مبارك وقعة هدية وثارت عليه عشائر المنتفق في عام 1911 وحاصرته في قلعته المانعة في ذي قار، على اثرها خرج إلى البصرة وهناك القت القوات العثمانية القبض عليه ونقل إلى بغداد، ومنها إلى حلب لمحاكمته، لكنه توفي قبل المحاكمة عام 1911. لتفاصيل أكثر يراجع: (الخالدي، 2004، صص 107 – 108).



وبغية إيصال خبر موافقة الشيخ مبارك إلى المقيم البريطاني كوكس كتب الوكيل البريطاني شكسبير إليه يخبره بموافقة الشيخ مبارك على الشروط التي فرضت عليه مقابل منحه القرض (F.O.371/769, 5th, June. 1909) ، وبتاريخ 7 حزيران أرسل الشيخ مبارك عن طريق الوكيل البريطاني شكسبير رسالة خطية إلى المقيم البريطاني في بوشهر بيرسي كوكس تضمنت موافقته على شروط الحكومة البريطانية، ولم تقتصر تلك الرسالة على الموافقة فحسب، بل تضمنت تصريحاً شخصياً من الشيخ مبارك الصباح إلى بيرسي كوكس، يفيد بأنه: "لا يقبل التعامل مع أحد سواه"، وأضاف قائلاً: "أني قدمت للنتيبي شكسبير برقية تتضمن موافقتي على شروطكم" (F.O.371/764, 7th, June, 1909).

نستشف من رسالة الشيخ مبارك إلى كوكس أن مبارك تجاهل دور الوكيل البريطاني شكسبير في الكويت وما الرسالة التي أرسلها الشيخ مبارك إلى المقيم البريطاني كوكس بعد يومين من لقاءه بشكسبير إلا دليل على ذلك، ويبدو أن الشيخ مبارك كان يتظاهر بمعاملة الوكيل شكسبير وانه مصراً على سياسته والتعامل مباشرة مع المقيم البريطاني في بوشهر.

يبدو أن الوجه الحقيقي للشيخ مبارك برز بعد أن أزيل القناع عنه في رفضه للوكيل السياسي شكسبير عندما رفض الأخير دعوة الشيخ مبارك لزيارته إلى قصره بعد عودته إلى الكويت من سفرته التفقدية لأملاكه⁽⁶⁾ في المحمرة والبصرة المتمثلة ببساتين النخيل هناك (Winstone and Freeth, 1972. P.75)، لأن الوكيل البريطاني شكسبير يعتقد بأنه من الواجب على الشيخ مبارك أن يأتي إلى الوكالة البريطانية بعد عودته إلى الكويت من سفره قبل الذهاب إلى قصره ليزوره هناك، الأمر الذي أظهر توتر في العلاقة بين الشيخ مبارك وشكسبير، وهذا ما أثار انتباه المقيم البريطاني برسي كوكس لتلك العلاقة السيئة، فدفعت تلك التطورات المقيم كوكس إلى أن يزيد من اهتمامه شخصياً بالشيخ مبارك، لاسيما بعد أن تسبب الوكيل شكسبير بحادثة قتل أحد رعايا الشيخ مبارك في النصف الثاني من عام 1909، وقد تحدث الشيخ مبارك عن الحادثة بشيء من المزاح والاستهزاء على الاعتذار الذي قدمه الوكيل شكسبير عن تلك الحادثة وإعطاء مبلغ من المال كـ "دية" لعائلة المقتول قائلاً "إن الشخص المقتول من رعاياي، وقد أصبح سبباً في مجيئكم إليّ، ولا مانع عندي أن تقتل في كل يوم كويتي إذا كان هذا يجعلنا متقاربين مثل الأن" (Winstone and Freeth, 1972. P.75).

ومن خلال التمعن في كلام الشيخ مبارك للوكيل شكسبير، يتبادر إلى الذهن أن فيه مبالغة كبيرة، أو أن ترجمة النص من اللغة الانكليزية إلى العربية ليست دقيقة، ومن خلال الاطلاع على أغلب المصادر كانت تؤكد أن الشيخ مبارك كان يعامل رعاياه رعية أبوية ولا يفرط بأحد منهم، كما أن المصادر بل أغلبها أكدت بأن الشيخ مبارك كان ممتعض كثيراً من الوكيل شكسبير لكون الأخير كان قد استخدم سياسة ناعمة في تعامله مع الشيخ مبارك، خلافاً لما كان يعمل الوكيل السابق نويس الذي كان يعارض كل ما يعرضه الشيخ مبارك، وهذا ما دفع الشيخ مبارك لإيجاد طريقة للتعامل بعيدة عن التشنج مع شكسبير، والباحث يرجح ما تفوه به الشيخ مبارك ولعل الهدف منه كسب ود شكسبير ظاهرياً، ومنذ ذلك الحين انقلبت العلاقة بين الشيخ مبارك وشكسبير من العداوة إلى الصداقة، ومن هنا أخذ الشيخ مبارك يصارح شكسبير عن كل مشكلة تواجهه، وهذا ما سنلمسه في موقف شكسبير من التطورات في العلاقة بين الشيخ مبارك والعثمانيين.

موقف الوكيل البريطاني شكسبير من علاقة الشيخ مبارك مع الدولة العثمانية

بعد أن سوي التوتر وهدأت العلاقة بين شكسبير والشيخ مبارك، أراد المقيم البريطاني بيرسي كوكس معرفة تحركات الشيخ مبارك تجاه العثمانيين، وبهذا الشأن طلب كوكس في 7 تموز 1909 من الوكيل البريطاني شكسبير أن يزوده بالمعلومات الوافية عن زيارة الشيخ مبارك إلى منطقة شط العرب في البصرة، وبغية الحصول على ما كلف به التقى الوكيل البريطاني شكسبير بالشيخ مبارك بعد عودته إلى الكويت، فسأله عن علاقته بالدولة العثمانية وعن موقفها تجاهه، وفي معرض رده أجاب الشيخ مبارك بأن الوالي العثماني حسين جليل هو من أصول عربية ولم أجد لديه ميول إلى القيام بأي أفعال مناهضة تجاه الكويت، مؤكداً في الوقت نفسه بأن أملاكه ومصالحه في البصرة مصانة بأمر من الوالي العثماني، وبعد أن أنهى شكسبير حديثه مع الشيخ مبارك

(6) منح ولاية بغداد العثمانيون ومنهم مدحت باشا (1869-1872) شيوخ الكويت من آل الصباح اقطاعيات في البصرة حتى يرتبطوا مصلحياً بالدولة العثمانية وأصبحت هذه الأراضي هي المورد الأساسي لهؤلاء الشيوخ وكان مبارك يمتلك بساتين للنخيل والفواكه في الفاو والصوفية والزين والفديكية وأم العرب. للمزيد يراجع: (الجاسم، 1997، ص 12).



أرسل في 7 آب 1909 رسالة إلى بيرسي كوكس أوضح فيها ما دار في لقاءه مع الشيخ مبارك (F.O.371/768,) (7th august, 1909).

إلا أن وشائج ذلك التقارب بين الشيخ مبارك والسلطات العثمانية في البصرة لم يدم طويلاً، فقد أثارت الحكومة العثمانية مسألة حدود وممتلكات شيخ الكويت في حصن الفاو، وقد أقلق ذلك الشيخ مبارك وأعدّه تهديداً لمصالحه هناك، فقصده الشيخ مبارك المقيم البريطاني بيرسي كوكس في 17 آب 1909 أثناء تواجده في المحمرة، وبعد اللقاء به شرح له تهديدات العثمانيين بالتعرض لمصالحه في البصرة، وفي معرض حديثه ذكر الشيخ مبارك بأن الشيخ الشيخ خزل⁽⁷⁾ قرر أن يتدخل في تلك القضية، فما كان من المقيم البريطاني، إلا أن أرسل رسالة إلى حكومته في 22 آب من العام ذاته أطلعها بما حصل من تطورات، وقد عبر كوكس بشكل صريح عن مخاوفه من تداعيات ذلك الموقف والمتاعب التي ستنتج من جراء ذلك مع السلطات العثمانية في البصرة (F.O.371/768,) (22nd August, 1909).

وخلال عام 1910 ازدادت خشية بريطانيا أكثر من السابق بعد أن حصل شكسبير على تسريبات استخباراتية تفيد بأن هنالك محاولات تبناها عبد العزيز سالم البدر وكيل الشيخ مبارك لإقامة علاقات جديدة بين الكويت والدولة العثمانية، إذ كان البدر يتصل سراً بالعثمانيين لإعادة العلاقة مع الكويت، ومن أجل احباط تلك المحاولة التقى الوكيل البريطاني شكسبير بالبدر وطلب منه أن يحيد عن تلك المساعي، لكونها تؤثر على العلاقات البريطانية الكويتية (محمد، 2011، ص347 - 348)، وهنا اصبح الوكيل البريطاني شكسبير متحيراً ولم يستطع التوفيق بين علاقات الشيخ مبارك مع العثمانيين فمن جهة تذكر بعض المصادر بأن علاقة الشيخ مبارك بالعثمانيين في عهد الوالي العثماني سليمان نظيف كانت قوية إلى الحد الذي وافق معها الشيخ مبارك على دخول حامية عثمانية إلى الكويت بغية التصدي للهجمات التي كان يشنها السعودون على الكويت بين الحين والآخر، ومن جهة أخرى كان هنالك علاقات قوية بين العثمانيين انفسهم والسعودون فكان لتلك العلاقة اثر في تحريض السعودون للوقوف موقفاً عدائياً من الشيخ مبارك، الأمر الذي تذر منه الوكيل شكسبير وعزم على مراقبة التطورات بين الشيخ مبارك والعثمانيين أكثر من السابق (سلوت، 2008، ص426).

وبعد مراقبة العلاقات الكويتية العثمانية، توصل الوكيل البريطاني شكسبير إلى بينة بأن العثمانيين كانوا يحرصون السعودون على القيام بالهجوم على الشيخ مبارك بهدف السيطرة على الكويت، والذي أكد ذلك الدليل الذي قدمه الشيخ مبارك لشكسبير، ذلك الدليل الذي أرسله صديق الشيخ مبارك الوالي سليمان نظيف والذي يؤكد على "أن يتوسط العثمانيين بين مبارك والسعودون إذا قامت الحرب بينهما"، فاذا انتصر السعودون في حربه ضد مبارك يتدخل العثمانيون لإنهاء ذلك النزاع ليفرضوا سيطرتهم على الكويت، وبهذا كتب شكسبير إلى الوكيل البريطاني في بوشهر يخبره بأن "كل صعوبة من الصعوبات التي واجهت الشيخ مبارك تعود في الأصل إلى المؤامرات التركية" ومهما يكن من أمر فإن الخطر العثماني انجلى عن الكويت في مستهل عام 1911 بسبب تدهور العلاقات بين السعودون والدولة العثمانية (سلوت، 2008، ص426).

وقد أشارت تقارير الحكومة البريطانية بتاريخ 7 آذار 1911، إلى الاعتداءات التي دشنتها السلطات العثمانية على ممتلكات الشيخ مبارك الصباح في شط العرب التي اشتراها مؤخراً ونعني بها أراضي "الفدكية وأم العرب"، إذ احتوى ذلك التقرير بين دفتيه على نص يؤكد بأن السلطات العثمانية في البصرة قد امتنعت عن تسجيل عقود الشراء الخاصة بأراضي الشيخ مبارك، إذا لم يوافق الأخير أن يكون مواطناً عثمانياً، وقد أوماً التقرير إلى أن الشيخ مبارك امتنع من الطلب العثماني ورفض القيام بمثل هكذا إجراء، بناء على النصائح التي قدمت إليه من المقيم البريطاني بيرسي كوكس والوكيل البريطاني في الكويت شكسبير، الأمر الذي دفع السلطات العثمانية إلى إرسال مجموعة من جنودها للاستحواذ على قلعة أم قصر (F.O.371/1245, 7th , Mar. 1911).

(7) الشيخ خزل: هو خزل بن جابر بن مرداو ولد عام 1861 في قرية كوت الزين التابعة لقضاء ابي الخصيب وينتسب إلى قبيلة بني كعب واهمه " نورة بنت طلال العلوان " رئيس قبيلة الباوية وكان الخامس بين اخوته أهتم به والده منذ الطفولة وهاً له كل ظروف التعليم إذ ظهرت عليه علامات التعليم منذ وقت مبكر وتعلم على ايدي شيوخ النجف الاشراف أصول الدين والنحو والصرف وحفظ القرآن كما انه كان مولعاً بالفروسية التي تعلمها منذ وقت مبكر، وله عشرين زوجة معظمهن بنات امراء ورؤساء شيوخ، له من الولد ثلاثة عشر ومن البنات اربعة عشر، بدأ دوره السياسي منذ السنوات الاخيرة من حياة والده الشيخ جابر وفي حينها كان قائداً للجيش وبعد مقتل الشيخ مزعل في الثاني من حزيران يونيو 1897 اجتمع رؤساء المحسن ونصبوه حاكماً ورئيساً لهم. للمزيد من التفاصيل. يراجع: (السلطان، 1985، ص ص9 - 12).



وخلال شهر آذار 1911 شاع خبر يفيد على أن الدولة العثمانية عازمة على تنفيذ مخططاتها بجعل كاظمة نهاية الخط الحديدي المزمع أنشاءه، فأثار ذلك الخبر امتعاض الشيخ مبارك، وأخذ يخشى أن تتجاهل الحكومة البريطانية هذا الأمر، فاضطر إلى أن يكتب إليها رسالة بواسطة الوكيل البريطاني شكسبير، ذكراً في رسالته ثلاثة خيارات على الحكومة البريطانية أن تختار المناسب لمصالحها في الكويت هي: تستأجر الحكومة البريطانية كاظمة والأراضي المحيطة بها على أن يكون الاستئجار بعقد مكتوب يبرزه الشيخ مبارك عند الضرورة، أو تترك الحكومة البريطانية الأمر للشيخ مبارك ليؤجر كاظمة لمن يشاء، أما الخيار الأخير فإن الشيخ مبارك طلب فيه من حكومة بريطانيا أن تعطيه ضماناً يلزمها حماية منطقة كاظمة من أي اعتداءات خارجية ومن ضمنها الدولة العثمانية، ولحماية مصالحها في الكويت اضطرت الحكومة البريطانية أن ترسل إلى الشيخ مبارك عن طريق وكيلها شكسبير تعهد مكتوب ضمننت فيه حماية الحدود الكويتية ومن ضمنها كاظمة مادام الشيخ مبارك يدين لها بالولاء (الشيخ خزعل، 1962، ص 140).

وبهذا تمكن الشيخ مبارك الصباح بدعائه السياسي أن يتقرب من البريطانيين أكثر من السابق، وألزمهم بتعهد يوجب حمايته وحماية ممتلكاته في البصرة، فضلاً عن التصدي لأي تطورات خارجية ضد الكويت، أما بريطانيا فأنها من دون شك وافقت على مطالب الشيخ مبارك من أجل عدم المساس بمصالحها والحفاظ عليها هناك. لم تضع علاقة الشيخ مبارك بالسلطات البريطانية بدأ من أن يتظاهر بإعلان تبعيته للدولة العثمانية بين حين وآخر، فعند دخول العثمانيين في حرب البلقان⁽⁸⁾ 1912-1913، بادر الشيخ مبارك في إرسال مقاتلين من رعاياه والقبائل العربية لدعم الدولة العثمانية، ونتيجة لذلك الموقف كرمه العثمانيين بوسام تمييزاً لموقفه تجاههم، الأمر الذي أثار امتعاض الوكيل البريطاني شكسبير (لغة العرب، 1912، ص ص 271-272)، وعلى ما يبدو أن الشيخ مبارك أراد من حركته تلك أن يشعر العثمانيين بأنه مستمر في ولائه لهم، حتى لا يعطي مستمسكاً للسلطات العثمانية قد تستخدمه ضده وتهدد إمارته وممتلكاته.

وبشأن إنهاء الخلافات مع الدولة العثمانية بما يخص الكويت عقد اتفاق بين بريطانيا والدولة العثمانية في 15 نيسان عام 1912، وقد أسفر الاتفاق عن ثلاث نقاط تعد غاية الأهمية بالنسبة للطرفين، وتحدد من خلالها مصير الكويت هي: استمرار سيطرة السلطات العثمانية على جزيرتي وربة وبوبيان، وان تقر بريطانيا بتبعية الكويت إلى البصرة وتحت مظلة الدولة العثمانية، وان تتمتع بريطانيا بالامتيازات السياسية والاقتصادية كافة التي حصلت عليها في الكويت (العنزي، 2004، ص 28)، وبعد أن اتضحت الأمور للحكومة بأنه من الصعب أن تتخلى بريطانيا عن مصالحها التي حصلت عليها من حاكم الكويت الشيخ مبارك، تعهدت بعدم التدخل بشؤون الكويت الداخلية، واعترفت بكل الاتفاقيات التي عقدها الشيخ مبارك الصباح مع البريطانيين، وبهذا عد ذلك الاتفاق الخطوة الأولى لفتح باب لمفاوضات في لندن بين الدولتين عام 1913 (صالح، 1966، ص ص 86-87)، وبغية تطبيق ذلك على أرض الواقع بدأت المفاوضات بين الطرفين في لندن بهدف حل الخلافات السائدة بينهما، وقد نتج عن ذلك عدة أمور منها: ان تكون البصرة نهاية خط حديد بغداد وأن لا يصل ذلك الخط إلى الكويت بدون موافقة الحكومة البريطانية، وان يمثل بريطانيا شخصان في مجلس إدارة الشركة في كل ما يتعلق بالأمور الإدارية التي تخص سكة حديد بغداد بصره⁽⁹⁾، وقد انتاب تلك المفاوضات التعثر، بسبب مطالبة العثمانيين بجزيرتي وربة وبوبيان، وبشأن مطالبة العثمانيين اتصل البريطانيين بالشيخ مبارك عن طريق الوكيل البريطاني شكسبير في 28 أيار 1913 لمعرفة رأيه بالاتفاق مع العثمانيين، فلم يوافق الشيخ مبارك على ذلك، وقد استنتج شكسبير من عدم موافقة الشيخ مبارك على المفاوضات البريطانية العثمانية بشأن الجزر، بأن الشيخ مبارك كان يعتقد أن بريطانيا قد اغفلت مصالحه عندما دخلت في مفاوضات مع العثمانيين، وأعد هذا الموقف تناقضاً في

(8) حرب البلقان: عقدت النمسا اتفاق سري مع بريطانيا عام 1908 لاحتلال منطقة البوسنة والهرسك، الأمر الذي اعتبرته روسيا أخلاقاً بالتوازن الدولي القائم مما دعاها إلى دعم القوى السلافية المناهضة للوجود النمساوي والعثماني والداعية لإقامة صربيا الكبرى، لذلك اندلعت ما أطلق عليه بالحرب البلقانية (1912-1913) والتي اشتركت فيها الدولة العثمانية وتسببت لها بخسائر كبيرة مما اضغعتها كثيراً، وكانت تسويات هذه الحرب هي من الأسباب الفاعلة لاندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914. للمزيد يراجع: (طويرش، 2006، ص ص 19-20).

(9) سميت تلك المفاوضات باتفاقية لندن، وقد مثلت الدولة العثمانية سفيرها إبراهيم حقي باشا، في حين مثلت الحكومة البريطانية وزير خارجيتها المستر ادوارد غراي، وقد اشتركت ألمانيا بتلك المفاوضات بواسطة سفيرها في لندن البرنس لخنوسكي، وبسبب الحرب العالمية الأولى لم تبرم تلك الاتفاقية بشكل رسمي. للمزيد من التفاصيل. يراجع: (خزعل، 1962، ص ص 144 - 146؛ الخترش 1984، ص ص 82 - 83).



سياستها تجاهه، فتوترت العلاقة بين الشيخ مبارك والبريطانيين، ولتخفيف ذلك التوتر ارسل الوكيل البريطاني شكسبير رسالة إلى حكومته طلب منها أن تحافظ على علاقتها الطيبة مع الشيخ مبارك وان تكون حريصة بعدم تقديم أي تنازلات للدولة العثمانية (العنزي، 2004، ص28)، وهذا دون شك يوضح مدى اهتمام الوكلاء البريطانيين بالمحافظة على مصالح حكومتهم التي حصلوا عليها في الكويت، ولم يقتصر دور وكلاء بريطانيا على مراقبة الأوضاع السياسية بما يخدم مصالحهم هناك فحسب، بل كان لهم دور كبير في اتمام عقد الاتفاقيات الاقتصادية نيابة عن حكومتهم مع الشيخ مبارك، وهذا ما سنلمسه في دور شكسبير بذلك الصدد.

المبحث الثالث: دور الوكيل البريطاني شكسبير في عقد الاتفاقيات الاقتصادية مع الشيخ مبارك

تنفيذاً لسياسة حكومة بريطانيا التي تقتضي إبعاد أي منافس لمصالحها في الكويت عملت على عقد اتفاقيات عدتها مكملة للاتفاقية التي بموجبها منعت حكام إمارات الخليج العربي من التعامل مع أي دولة بدون علمها (التميمي، 1986، ص27)، فكانت الاتفاقيات الجديدة اقتصادية تحمل طابع سياسي عدت بمثابة مرحلة جديدة من العلاقات بين الطرفين، فمن خلالها فرضت بريطانيا إشرافها على الأوضاع المالية والاقتصادية في الكويت، الأمر الذي اضطر بريطانيا على تغيير سياستها السابقة القائمة على أساس عدم التدخل في شؤون الكويت الداخلية، ففي تموز عام 1911 عقدت أهم اتفاقية بين بريطانيا والكويت تولى إدارة الاتفاق الوكيل البريطاني شكسبير مع الشيخ مبارك، وبموجبها تعهد الأخير بأن يتنازل للحكومة البريطانية عن امتيازات خاصة باستخدام مغاصات اللؤلؤ (البحارنة، ط2، 2006، ص35). وفي 29 تموز من العام ذاته سلم شكسبير تعليمات الحكومة البريطانية برسالة إلى الشيخ مبارك حملت في طياتها منع الشيخ مبارك من منح هكذا امتياز لأي حكومة أو شركة أجنبية إلا بعلم الوكيل البريطاني شكسبير وموافقة حكومة بريطانيا (تجيسون، 2001، ص316؛ طعمة، 1971، ص39؛ الهاجري و العنزي، 2011، ص133)، فما كان من الشيخ مبارك إلا أن بت بموافقته على الفور برسالة أرسلها إلى شكسبير⁽¹⁰⁾، قال فيها: "وكما تعلمون - حضرتكم - إنني لا أفتش عن فائدة دون استشارتكم في جميع الأحوال، وأني لا أوافق على ذلك دون أخذ رأيكم ورأي الحكومة الجليلة" (الأصقه، 2014، ص321)، وبهذا يمكن القول بأن الشيخ مبارك أخذ يعتمد اعتماداً كلياً على مساندة بريطانيا له، وما يؤكد ذلك البرقية التي أرسلها في اليوم نفسه الذي تم فيه توقيع الاتفاقية إلى المقيم البريطاني كوكس عن طريق الوكيل شكسبير أبلغه فيها بأنه لن يمنح الأذن لأية دولة تروم استخراج اللؤلؤ والإسفنجة من مياه الكويت إلا بعلم أو استشارة الوكيل البريطاني شكسبير (الهاجري و العنزي، 2011، ص133)، وبعد تلك الاتفاقية أصبح يشار إلى الكويت في المخاطبات الرسمية بأنها محمية بريطانية (البحارنة، 1975، 224؛ طعمة، 1971، ص35؛ التميمي، 1986، ص27).

وأخذت بريطانيا تزيد من اهتمامها بالكويت، لاسيما بعد أن اشاعت اخبار تفيد بوجود النفط هناك، فضلاً عن موارد اقتصادية أخرى، ومن أجل أن تحكم سيطرتها على موارد الكويت لتضمن مصالحها في المنطقة، أقيمت على عقد الاتفاقية أخرى مع حاكم الكويت الشيخ مبارك (جودة، 1979، ص65)، ففي 13 تموز 1912 طلب بيرسي كوكس من الوكيل البريطاني شكسبير أن يفتح شيخ الكويت بشأن السماح لبريطانيا مد قابلو للتلغراف من العراق إلى الكويت بهدف ربطها بالعالم المتطور، ومن أجل ضمان حمايته وافق الشيخ مبارك في 26 تموز 1912 على ذلك، وطلب من شكسبير بأن ينقل موافقته إلى المقيم بيرسي كوكس برسالة، مؤكداً لشكسبير "بأن وجود البرق سيكون مصدر راحة وسهولة إلى الحكومة وشعبنا" (الشيخ خزعل، 1962، ص141 - 142). ولأهمية الكويت للمصالح البريطانية اجتمع مجلس العموم البريطاني في منتصف تموز عام 1913 بشأن حاجة بريطانيا الكبيرة إلى النفط وبعد مناقشات حادة بين الساسة البريطانيين من نواب المجلس أدرك المجتمعون أهمية نفط الكويت بالنسبة للمصالح البريطانية (الخصوصي، 1988، ص78)، وبهذا الخصوص أرسلت بريطانيا إلى مقيمها في الخليج العربي بيرسي كوكس في 27 تشرين الأول عام 1913 بأن يفوض الشيخ مبارك بشأن منح بريطانيا امتياز التنقيب عن النفط في الكويت بواسطة خبراء و اخصائين (الهاجري و العنزي، 2011، ص133)، والاتفاق معه بعدم منح مثل هكذا امتياز لأي دولة أخرى غيرها، وبدوره بعث بيرسي كوكس في 28 تشرين الأول إلى الوكيل البريطاني شكسبير كتاباً تضمن الطلب البريطاني ليسلمه إلى الشيخ مبارك الصباح للاطلاع

(10) رسالة من الشيخ مبارك الصباح إلى الكابتن W. H. T. شكسبير الوكيل السياسي في الكويت مؤرخة في 2 شعبان 1329هـ/ تموز 1911. للاطلاع على الرسالة يراجع. نص الرسالة في: (خزعل، 1962، ص141).



على وجهة نظر الحكومة البريطانية، وكلفه كوكس بأن يطلب من الشيخ مبارك الموافقة على الطلب البريطاني، وبحكم صداقته مع كوكس وافق الشيخ مبارك وابدى استعداده لتقديم المساعدة للخبراء وتسهيل مهمة عملهم في الكويت، وعبر بهذا الصدد عن موافقته برسالة أرسلها إلى بيرسي كوكس في بوشهر (الشيخ خزعل، 1962، ص143)، هذا نصها "إذا قدم الاميرال فانني سأرسل معه أحد أبنائي لخدمته إلى مكان النفط في برقان (الهاجري والعنزي، 2011، ص133؛ انجيسون، 2001، صص 315 - 320)، وأرفق الشيخ مبارك مع رسالته ضمناً مكتوب تعهد فيه للبريطانيين بعدم التنازل لأي دولة للتقريب عن النفط، إلا للدولة التي ترضى عليها الحكومة البريطانية، وقد عرف ذلك الضمان باسم "اتفاقية الزيت" (الخصوصي، 1988، ص78)، وبذلك أثمرت سياسة الامتيازات غير المتكافئة التي منحها الشيخ مبارك إلى بريطانيا، أن تكون الأخيرة الدولة الأولى التي من حقها استغلال تلك الثروات داخل الكويت، مما أدى إلى تمكين بريطانيا إلى أن تفرض سيطرتها على الكويت أكثر من ذي قبل، أما الشيخ مبارك فيبدو أن تقربه من بريطانيا كان يهدف من ورائه إبعاد إمارته عن الأخطار الخارجية (الصباح، 1988، ص29).

وبهذا يمكن القول بان الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا بواسطة إدارة الوكالة البريطانية في الكويت مكنت من تدعيم السياسة البريطانية هناك و عملت في الوقت نفسه على تقوية العلاقات مع الشيخ مبارك، التي من خلال سياستها الناعمة معه أصبحت الأمر والنهي هناك، وانها صاحبة الامتيازات الأولى، وبك شك يرجع ذلك الأمر إلى دهاء الوكلاء السياسيين ومكرهم في تطبيق تلك السياسة.

ومن خلال الاتفاقيات الاقتصادية التي عقدت بين الكويت والحكومة البريطانية، بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين الطرفين قائمة على أساس، احتكار امتياز النفط والغوص والتلغراف واللاسلكي، ومن دون شك أن ذلك النهج التجاري الاقتصادي أدى إلى فرض نمط من الإشراف البريطاني على الأوضاع المالية والاقتصادية في الكويت، الأمر الذي دفع بريطانيا لتعديل سياستها السابقة بعدم التدخل في شؤون حكم الكويت الداخلية واقتصارها على تقديم المشورة إلى حاكم الكويت، والتدخل الفعلي في شؤونه الداخلية واحتكار اقتصاد المنطقة لصالحها (البحارنة، ط2، 2006، صص 37 - 38؛ العقاد، 1956، ص192)، فكان من الطبيعي أن تثمر السياسة التي اتبعتها بريطانيا تجاه الكويت عن سلسلة من التطورات الايجابية لصالح الكويت، اختتمت بحصول حاكم الكويت في الثالث من تشرين الثاني نوفمبر 1914 على اعتراف بريطانيا بالكويت كإمارة مستقلة في ظل الحماية البريطانية ووعده بتقديم المساعدات اللازمة لإمارته إن هو طلب منها ذلك (مختارات من أهم الوثائق البريطانية، 1996، ص382؛ لوتسكي، ط9، 2007، ص389؛ بيربي، 1959، ص265).

ومن خلال ذلك يتضح أن موارد الكويت الاقتصادية أصبحت خاضعة لنفوذ بريطانيا الاقتصادي والتي عملت بكل ما تملك على الوقوف ضد تطلعات الدول الأوروبية الأخرى من الوصول إلى هذا المنفذ الحيوي، خشية على مصالحها الاقتصادية هناك، وتمكنت من ربط اقتصاد الكويت بتجارتها بعد أن وضعت تحت تصرفها الخاص، كما يبدو ان بريطانيا من خلال عقد الاتفاقيات والمعاهدات قيدت الكويت من الانفتاح على الدول الأجنبية أو الولايات العربية التابعة للإدارة العثمانية آنذاك، كما يتضح أن استمرار سياسة بريطانيا على هذا المنوال ما هو الا حفاظاً على مصالحها الاقتصادية وحماية طرق تجارتها لاسيما طريق الهند.

المبحث الرابع: جهود الوكالة البريطانية في الكويت لتطبيع العلاقات البريطانية السعودية

كُلف الوكيل البريطاني شكسبير من لدن المقيم البريطاني بيرسي كوكس بالاهتمام في شؤون الجزيرة العربية والتعرف على تحركات ابن سعود هناك وما هي سياسته تجاه بريطانيا، وبعد لقاء شكسبير بأبن سعود واطلعه على توجهه تجاه بريطانيا، بعث شكسبير رسالة إلى بيرسي كوكس في 8 نيسان 1911، بين فيها ما جرى من حديث بينه وبين ابن سعود، كما ذكر شكسبير فقرة في رسالته امتدح بها ابن سعود هذا نصها "أن عبد العزيز ابن سعود، ترك لدي انطباعاً بأنه قد وهب طبيعة مستقيمة وصريحة، كما أنه كان كريماً بوجه خاص، وهذه هي سمعته بين العشائر البدوية هناك" (صفوة، 1996، ص 155)، كما أكد شكسبير لبيرسي كوكس بأن ابن سعود مع رغبة بريطانيا في أحلال السلام، وفي المقابل تعهد شكسبير لأبن سعود بناءً على توجيهات حكومته، بأن بريطانيا لن تتدخل في شؤون وسط الجزيرة العربية، وقد سارت السياسة البريطانية هناك على منوال واحد هو عدم التدخل في شؤون الجزيرة حتى نهاية عام 1913 (صفوة، 1996، ص 155).

وخلال المدة الواقعة بين 1911 و 1913 استمرت المراسلات بين الوكيل البريطاني شكسبير وابن سعود بهدف تحسين العلاقات البريطانية معه، وكان شكسبير دائماً ما يشجع ابن سعود على الابتعاد عن الدولة العثمانية



بغية كسبه لجاناب بريطانيا للسيطرة على البصرة (الشيخ خزعل، 1962، ص 146). يبدو أن بريطانيا بعد أن احكمت سيطرتها على الكويت وكسبت ود الشيخ مبارك إلى جانبها أرادت أن تضمن مساندة ابن سعود لكي تتفرغ لمواجهة الدولة العثمانية وتحقيق هدفها في السيطرة على البصرة لتضمن أمن وسلامة مصالحها في الخليج والهند لان البصرة بالنسبة للخليج العربي تعد عنق القربة له فمن خلال ذلك العنق تسيطر بريطانيا على مصالحها وتضمن حمايتها من أي اعتداء خارجي.

وفي مطلع شباط عام 1913، طلب المقيم البريطاني بيرسي كوكس من الوكيل البريطاني في الكويت شكسبير، أن يقابل ابن سعود بمقر اقامته في المناطق المجاورة للكويت، بشأن التباحث معه في القضايا التي تهم أوضاع الجزيرة العربية والعلاقات مع السلطات العثمانية، وبعد أربعة أيام قضاها شكسبير في مقر اقامة ابن سعود، كتب تقريراً مفصلاً عن ما كلف به في 16 شباط عام 1913 أرسله إلى المقيم برسي كوكس، عرض فيه ما دار بينه وبين ابن سعود من حوار وأراء بحضور أخوته الذين أجمعوا على أن الفرصة سانحة أمامهم للتخلص من السيطرة العثمانية، وابعاد قواتها من الأحساء (صفوة، 1996، ص 168).

وقد ذكر شكسبير لبيرسي كوكس بأنه اثناء لقاءه بابن سعود، أوضح للحاضرين، بأن العلاقات البريطانية العثمانية طبيعية، وأنه المباحثات جارية بين الحكومتين بشأن سكة حديد بغداد الخليج العربي، كما طلب شكسبير في تقريره من برسي كوكس قائلاً " أنني أدرك، أننا كثيراً ما اضطررنا إلى فرض بعض الإجراءات التي عاقبنا بها الوهابيين على تدخلهم في شؤون شيوخ إمارات الساحل العماني وشؤون البحرين، ولكنني على قناعة في هذا الشأن الآن، أن ابن سعود سيكون فرحاً لمنحنا أي تعهد نرغب فيه بغية المحافظة على الوضع الراهن في المستقبل" (صفوة، 1996، ص 174)، وبناءً على ما تقدم تعهد ابن سعود في 9 نيسان 1913 (حمزة، 1968، ص 367)، بعدم التعرض لمشايخ الساحل العماني وأنه تواق لتمتين علاقته مع بريطانيا، فرفع شكسبير ذلك الموقف برسالة إلى المقيم البريطاني برسي كوكس بتاريخ 13 نيسان 1913، بين فيها وجهة نظره تجاه ابن سعود جاء فيها "أنني أميل إلى أننا سنساعده في تحقيق اخراج العثمانيين من الأحساء والقطيف" (صفوة، 1996، ص 173).

وقد أكد ابن سعود تعهداته التي قطعها لبريطانيا أثناء لقاءه بالوكيل البريطاني في البحرين تريفور Trevor والوكيل البريطاني شكسبير في يومي 15 و16 كانون أول 1913، بعدم التعرض لمصالح بريطانيا في الساحل العماني، كما أكد بأن السبب في عدم اعتدائه على إمارات الساحل هو خشيته من خسارة مساندة بريطانيا له (المنصور، 1975، ص 118-119)، وعلى أساس ما صرح به ابن سعود أخذت السلطات البريطانية تزيد من اهتماماتها به، فأرسلت له الوكيل البريطاني شكسبير في آذار عام 1914 (المختار، ب. ت، ص 162)، للاتفاق معه بشأن الاستعداد لمساندة بريطانيا باحتلال البصرة، وبهذا الشأن رفع شكسبير تقريره إلى بيرسي كوكس تضمن معلومات تخص وصول طلب من الشيخ مبارك يدعو فيه الحضور إلى اجتماع في منطقة الصبيحية⁽¹¹⁾ الواقعة بين نجد والكويت، مع المسؤولين العثمانيين في ولاية البصرة. Winstone and Freeth, 1972. P. (200).

وقد حدثت متغيرات سياسية زادت من الاهتمام البريطاني بالجزيرة العربية، إذ شكل اندلاع الحرب العالمية الأولى أثر بارز في ذلك الاهتمام، ففي كانون الأول 1914 انتدبت بريطانيا وكيلها الكابتن شكسبير إلى ابن سعود وزودته بتعليمات عن طريق المقيم البريطاني بيرسي كوكس بأن يستغل طموح ابن سعود بالزعامة على الجزيرة العربية، ويحثه على اعلان الحرب ضد العثمانيين، وقد استقبل ابن سعود شكسبير في مدينته الرياض بحفاوة كبيرة تعبيراً عن صداقته مع البريطانيين، وكانت مهمة شكسبير تنحصر في أمرين مهمين بالنسبة للمصالح البريطانية هما: الأمر الأول يخص منع السعوديين عن متابعة توسعهم في الخليج العربي، وتوجيههم إلى محاربة العثمانيين، في حين ركز الأمر الثاني على اضعاف قوة العثمانيين من خلال محاربة حلفائهم آل الرشيد (قاسم، 2001، ص 379 - 380)، وقد استمرت اللقاءات بين شكسبير وابن سعود خلال شهر كانون الأول عام 1914 بغية مساندة لبريطانيا ضد العثمانيين، وتزامن مع تلك المباحثات وقوع معركة بين ابن سعود وابن الرشيد

(11) وفي ذلك الاجتماع الذي انعقد في أيار 1914، توصل الطرفان إلى اتفاق يقضي باعتراف عبد العزيز آل سعود ابن سعود بسيادة الدولة العثمانية عليه، ونصت الفقرة الثانية من هذا الاتفاق على تعيين ابن سعود والياً عثمانياً على نجد طيلة حياته، على أن يرثه في الحكم من بعده أولاده وأحفاده، كما وافق ابن سعود وحسب الفقرات الرابعة والسابعة على مرابطة قوات عثمانية في موائى القطيف والعقير، واستخدام العلم العثماني. يراجع: (النجار، 1975، ص 103).



يسانده الوالي العثماني عرفت باسم "موقعة جراب" فأراد شكسبير أن يتدخل شخصياً في الحرب ضد العثمانيين، وبعد ان انظم إلى تلك المعركة أصيب بطلقة اردته قتيلاً في كانون الثاني عام 1915 عندما كان يحشو المدفع، ومن الجدير بالذكر أن شكسبير كان في وقتها وكياً لبريطانيا في الكويت (السعيدان، ج2، 1981، ص816). وهكذا تمكن بريطانيا من خلال وكلائها أن تسير سياستها بما تملبه عليها مصالحها ليس في الكويت فحسب بل الجزيرة العربية انطلاقاً من الوقوف بوجه أية دولة تهدد مصالحها هناك فأرادت ان ينوب ابن سعود عنها في حرب العثمانيين ولكون ال الرشيد على علاقة قوية مع العثمانيين ارادت بريطانيا أن يحاربهم ابن سعود وهذا ما حصل بالفعل.

الخاتمة

تسمح لنا الحقائق والمقارنات والتحليلات التي أوردناها في هذا البحث، بالوصول إلى بعض الاستنتاجات فيما يتعلق بنشاط الوكالة البريطانية في الكويت عام 1909 الذي اقتصر على عدة مرتكزات أعدت لخدمة المصالح البريطانية وحماية امتيازاتها، إلى جانب ابعاد اي خطر يهدد امتيازاتهم في الكويت، وبلا شك كان دور الوكالة هناك متمثل بشخص الوكيل البريطاني شكسبير، الذي انتهج سياسة التهدئة واللين مع الشيخ مبارك خلاف سياسته الوكيل الذي سبقه، ومن هذا الاتجاه يبدو أن اهتمام الوكالة البريطانية في الكويت خلال مدة اقامة الوكيل شكسبير قد انصب على تقوية العلاقات مع الشيخ مبارك وعدم الاصطدام به، والاكتفاء بمراقبة تصرفاته وسياسته تجاه الدولة العثمانية بغية عدم الانجرار وراء الألاعيب العثمانية التي قد تمنحهم فرصة للتدخل في الكويت الأمر الذي ينعكس سلباً على المصالح البريطانية هناك.

وبلا ريب كان دور الوكيل شكسبير واضحاً في إدارة الاتفاقيات الاقتصادية مع حاكم الكويت من خلال اللقاءات المتكررة التي اجراها مع الشيخ مبارك نيابة عن حكومته والذي كان يوثقها أول بأول عن التطورات في الكويت من خلال التقارير التي كان يرفعها عن طريق بيرسي كوكس المقيم البريطاني في بوشهر أو مباشرة إلى الحكومة البريطانية، ومن خلال ما تقدم يتضح دور الوكالة البريطانية في الكويت تجاه شبه الجزيرة العربية والجهود التي بذلها شكسبير من خلال المباحثات التي اجراها مع عبد العزيز ابن سعود لمعرفة موقفه تجاه بريطانيا، ومن الدولة العثمانية فكان له الدور الكبير في اقناع ابن سعود على ترك العثمانيين والميل لبريطانيا ومساندتها لتحقيق أهدافها بطرد العثمانيين والسيطرة على البصرة.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب الوثائقية.

- 1- بي سي اس، سي يو اتجيسون، (2001)، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ترجمة عبد الوهاب عبد الستار القصاب ، بغداد، بيت الحكمة.
- 2- صفوة، نجدة فتنحي، (1996)، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) ، المجلد الاول 1914 - 1915 ، بيروت، دار الساقى ، بيروت.
- 3- مختارات من أهم الوثائق البريطانية 1797-1965، (1996)، مج 1 (بريطانيا والإمارات 1797-1960)، ترجمة لزلي مكلوكلين، تحقيق محمد مرسي عبدالله، انكلترا، مركز لندن للدراسات العربية.

ثانياً: المصادر العربية والمعربة.

- 1- الأصقح، سلطان فالح ، (2014)، إمارة الكويت في ظل التنافس الدولي في عهد الشيخ مبارك الصباح 1896 - 1915م دراسة تاريخية لـ: " دبلوماسية التنافس الدولي وسياسة توازن القوى "، الكويت، منشورات ذات السلاسل.
- 2- آل طويرش، موسى محمد ، (2006)، تاريخ العالم المعاصر 1914-1975، ط1، بغداد، دار الحوار للنشر.
- 3- البجارنة، حسين محمد ، (2006)، دول الخليج العربي الحديثة وعلاقتها الدولية وتطور الاوضاع السياسية والقانونية والدستورية، ط2 ، بيروت ، الكنوز الادبية .
- 4- البجارنة، حسين محمد، (1975)، الاتجاهات الدستورية والسياسية المعاصرة في منطقة الخليج العربي . في : كتاب الخليج العربي في مواجهة التحديات محاضرة الموسمين الثقافيين السابع والثامن لعام 1974 - 1975 ، الكويت، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع.



- 5- بيربي، جان جاك، الخليج العربي، (1959) ترجمة نجدة ماهر، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر.
- 6- التميمي، عبد المالك خلف، (1986)، الخليج العربي والمغرب العربي، دراسات في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي، قبرص، دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع .
- 7- جودة، أحمد حسن، (1979)، المصالح البريطانية في الكويت حتى عام 1939، ترجمة حسن على النجار، بغداد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الارشاد.
- 8- حمزة، فؤاد ، (1968)، قلب جزيرة العرب، ط2، الرياض، مكتبة النصر الحديثة.
- 9- الخالدي، إبراهيم ، (2004)، المصور البدوي، الكويت.
- 10- الخترش، فتوح عبد المحسن، (1984)، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية 1890 – 1921، ط2، الكويت، منشورات ذات السلاسل.
- 11- الخصوصي، بدر الدين عباس الخصوصي، (1988)، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج2، الكويت، ذات السلاسل، الكويت.
- 12- السعدون، خالد، (2008)، بريطانيا وتجارة السلاح في الخليج العربي 1898 – 1914، الشارقة، منشورا جامعة الشارقة.
- 13- السلطان، أنعام مهدي علي السلطان، (1985)، حكم الشيخ خزعل في الاحواز 1897 – 1925، بغداد، دار الكندي.
- 14- سلوت، ب. ج، (2008)، مبارك الصباح مؤسس الكويت الحديثة، ترجمة: السيد عيسوي أيوب وعبد الله يوسف الغنيم، الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- 15- الشملان، سيف مرزوق، (1978)، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي ، ج2 ، الكويت، مطبعة حكومة الكويت.
- 16- الشيخ خزعل، حسين خلف، (1962)، تاريخ الكويت السياسي، ج2، بيروت.
- 17- صالح، زكي، (1966)، مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية.
- 18- الصباح، ميمونة الخليفة الصباح، (1988)، الكويت في ظل الحماية البريطانية، الكويت، دم.
- 19- طعمة، هادي، (1971)، الخليج العربي في الاستراتيجيات الاستعمارية والبريطانية خاصة، بغداد، وزارة الاعلام.
- 20- العقاد، صلاح، (1956)، الاستعمار في الخليج الفارسي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
- 21- العنزي، محمد نايف، (2004)، دراسات في تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، الكويت، مطبعة الفجر الكويتية.
- 22- قاسم، جمال زكريا قاسم، (2001)، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج 2: تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، القاهرة، دار الفكر العربي.
- 23- القناعي، يوسف بن عيسى، (1960)، صفحات من تاريخ الكويت، ط3، الكويت، دم.
- 24- لوتسكي، (2007)، تاريخ الاقطار العربية الحديثة، بيروت، ط9، دار الفارابي.
- 25- المختار، صلاح الدين، (د.ت)، تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها، ج2، بيروت، منشورات مكتبة الحياة.
- 26- المنصور، عبد العزيز محمد، (1975)، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين 1868-1916، الكويت. د.م.
- 27- النجار، مصطفى عبد القادر، (1975)، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة.
- 28- الهاجري عبدالله محمد و العنزي محمد نايف، (2011)، مدخل إلى تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، ط3، الكويت، دم.
- ثالثاً: المجلات العلمية المحكمة.**
- 1- الجاسم، نجاة عبد القادر ، (1997)، العلاقات الكويتية العثمانية 1718-1902، مجلة دراسات تاريخية، العددان 61-62، دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب.



2- لغة العرب، مجلة ، (1912)، الجزء السابع ، السنة الأولى ، بغداد، مطبعة الآداب.
3- محمد، صالح خضر ، (2011)، نشاط القنصلية البريطانية في الكويت 1886 – 1945، مجلة كلية التربية للبنات، العدد 2، مج22، جامعة كركوك.
رابعاً: الموسوعات.

1- السعيدان، حمد محمد، (1981)، الموسوعة الكويتية المختصرة، ط2، ج 3، الكويت، وكالة المطبوعات.
خامساً: الوثائق البريطانية.

أ: الوثائق البريطانية الغير منشورة.

- 1- F.O.371/769, Tel. From Cox to Shakespear, Kuwait, 2th, May, 1909.
- 2- F.O.371/769, Tel. From Shakespear to Cox, Kuwait, 11th, May, 1909.
- 3- F.O.371/769, Tel, From Cox to Shakesperar, Bushire,1, June, 1909.
- 4- F.O.371/769, Tel, From Mubarak – Bin . Subah to cox, Kwait, 5th, June. 1909.
- 5- F.O.371/764, Tel, From Shakespear to Cox, Kuwait, 7th, June , 1909.
- 6- F.O.371/1245, Report (Turkish Agression In The Persian Gulf) , 7th , Mar. 1911.
- 7- F.O.371/768, Tel. confidential , 2080, From Cox To Sectary of The Government of India, Bushire, 22nd August, 1909.
- 8- F.O.371/768, Tel 444. From Shakespear to Cox, 7th august, 1909.

ب: الوثائق البريطانية المنشورة.

- 1- Administration, The Persian Gulf, (1986), Reports Political Residency, Vol. VI, 1905 – 1911, Superintendent Government Printing, Calcutta, Archive Editions.

سادساً: المصادر باللغة الإنكليزية.

- 1- Tripp, Charles, (2007) Ahistore of Iraq, New york, Cambridge University Press .
- 2- Winstone, H.V.F and Freeth Zahra, (1972), Kuwait Prospect Reality, Georg Allen and Unwin Ltd ,London.